

البنية الصوتية في الموشح الأندلسي و أبعادها الدلالية

ابن زهر أنموذجا - دراسة وصفية إحصائية تحليلية

الأستاذة : فايزة حسناوي

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة د. يحي فارس - المدينة

مقدمة :

ليس مخطئا من قال إن الصوت هو مادة ، بل هو اللغة عينها وذاتها ، وأن المستوى الصوتي هو أساس بنية اللغة. إذ منه يتشكّل كل من المستويين الإفرادي والتركيبى بشقيه النحوي الثابت والبلاغي المتغير حسب حال السامع، باعتبار أن الصوت هو الوحدة الصغرى التي تتكون منها وحدات اللغة، أي الكلمات والجمل. وفي هذا الصدد يقول الدكتور جعفر دك الباب : يؤلف النظام اللغوي كلا واحدا ، توجد المستويات المتدرجة للبنية اللغوية فيه ، في علاقة تأثير متبادل فيما بينها، ويحتل مستوى البنية الصوتية مرتبة المستوى الأساسي والموجه بالنسبة لبقية المستويات .. لذا تنعكس خصائصه في المستويات اللغوية الأعلى ، ولا يمكن تفسير خصائص المستوى الصوتي بحقائق من المستويات الأعلى في حين أن العكس ممكن⁽¹⁾.

من خلال هذا المقول تتضح أهمية الصوت في بنية اللغة . والحديث عن الصوت هو بالضرورة الحديث عن الإيقاع، إذ أنّ في الإيقاع حاجة فيزيولوجية في كينونة الإنسان، لأنه يضبط حركة النفس، فإذا كانت سريعة جاء مثلها، وإذا كانت هادئة كان كذلك. لذا عدّ من أهم العناصر التي شغلت اهتمام الباحثين ولا تزال تشغلهم إلى هذا اليوم . ولأهمية الفعل التطبيقي الذي غدا مطلوبا في البحث العلمي عامة واللغوي خاصة ، فقد اخترنا في دراستنا هذه موشحة (سلم الأمر للقضاء) لابن زهر الأندلسي ، كنموذج تطبيقي صرف نطلق منه لدراسة البنية الصوتية وعلاقتها بالدلالة. وعليه فقد اشتملت خطة البحث على العناصر التحليلية التالية: الموسيقى الخارجية - أوزان الموشحات - الموسيقى الداخلية - الأصوات وارتباطها بالدلالات - الخاتمة والنتائج .

أولا: الموسيقى الخارجية

أوزان الموشحات :

لما كانت أوزان الشعر، هي موسيقاه، فإن هناك إذن صلة تجمع بين موسيقى الشعر والموسيقى عامة. وكما تطورت الموسيقى العربية خلال العصور، وكانت موسيقى العصر العباسي غير موسيقى العصر الأموي، وهما معا غير موسيقى الجاهلية، كان المأمول أن يُحدث الشعراء تطورا مماثلا في موسيقى الشعر وألا يقفوا عند الحد الذي رسمه الجاهليون، غير أن هذا شيء لم يحدث. لقد ظل الشعر مقيدا بأوزان الشعر الجاهلي وقوافيه، حتى اخترعت الموشحات الأندلسية فكانت أول محاولة (جزئية) جريئة للتجديد في أوزان الشعر العربي وقوافيه والخروج بها على ما ألفه الشعراء السابقون.⁽²⁾

(1) جعفر دك الباب - مقدمة الكتاب والقرآن قراءة معاصرة - محمد شحور - ص23 - مكتبة الأهالي، دمشق، سوريا، ط 1 - 1990.

(2)

وتمثل الموشحات ثورة عارمة، وخروجاً لم يسبق له مثيل على الشكل الموروث للنمط العروضي للقصيد العربية، وقد تمثل هذا الخروج في الوزن والقافية بالتحديد⁽¹⁾.

ولعل خير من تعرض لأوزان الموشحات بالدرس والاستقصاء هو "هبة الله بن سناء الملك" في كتابه "دار الكتاب في عمل الموشحات"، إذ وجدناه يقسم الموشحات من حيث أوزانها إلى قسمين: الأول منها، ما جاء على أوزان أشعار العرب. والثاني مالا وزن له فيها، ولا إمام له بها⁽²⁾.

أما القسم الأول فيعده ابن سناء الملك: "بأنه من النسج المرذول المخذول، وهو بالمخمسات أشبه منه بالموشحات، ولا يفعله إلا الضعفاء من الشعراء. والقسم الثاني من الموشحات، وهو مالا دخل لشيء من أوزان العرب، وهذا القسم منها هو الكثير والجم الغفير والعدد الذي لا ينضب، غير أن ابن سناء الملك نبذه قد قسم القسم الأول بدوره إلى قسمين: أحدهما مالا يتخلل أقفاله وأبياته كلمة تخرج بالفقرة التي جاءت فيها عن الوزن الشعري، والذي يريد أن يتشبه بما لا يعرف، ويتشبع بما لا يملك، اللهم إلا إن كانت قوافي قفله مختلفة، فإنه يخرج باختلاف قوافي الأقفال عن المخمسات، كقول بعضهم:

يا شقيق الروح من جسدي أهوى بي منك أم لم؟

والآخر مما جاء على أوزان الشعر المعروفة، هو ما تخللت أقفاله وأبياته كلمة أو حركة ملتزمة. كسرة كانت، أو ضمة أو فتحة، تخرجه عن أن يكون شعراً صرفاً وقريضاً، فمثل الكلمة قول ابن بقي:

صبرت والصبر شيمة العاني ولم أقل للمطبل هجري معدي كفاني

هذا البيت من البحر المنسرح⁽³⁾

النموذج التطبيقي .

الموشحة: سلم الأمر للقضا

سَلَّمَ الْأَمْرَ لِلْقَضَا فَهُوَ لِلنَّفْسِ أَنْفَع

وَاعْتَمِمْ حِينَ أَقْبَلَا

وَجْهَ بَدْرِ تَهَلَّلَا

لَا تَقُلْ بِالْهُمُومِ لَا

كُلُّ مَا فَاتَ وَانْقَضَى لَيْسَ بِالْحُزْنِ يَرْجِعُ

وَاصْطَبِحْ بِابْنَةِ الْكُرُومِ

مِنْ يَدِي شَادِنِ رَحِيمِ

حِينَ يَفْتَرُّ عَنْ نَظِيمِ

فِيهِ بَرَقَ قَدْ أَوْمَضَا وَرَحِيقُ مُشْعَشَعِ

(1) علي الغريب محمد الشناوي، الصور الشعرية عند الأعمى التطيلي ص 297 - مكتبة الأدب، مصر.

(2) المرجع نفسه - ص 297.

(3) عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص 360. --- (4) - المرجع نفسه ص 361.

أنا أفديه من رشا

أهيف القد والحشا

سقى الحسن فانتشا

مذ تولى وأعرضا ففؤادي يقطع

من لصب غدا مشوق

ظل في دمه غريق ح

ين أموا حمى العقيق

واستقلوا بذي الغضا أسفي يوم ودعوا

ما ترى حين أظعنا

وسرى الركب موهنا

واكتسى الليل بالسنا

نورهم ذا الذي أضأ أم مع الركب يوشع

التحليل:

أقسام الموشحة	النمط العروضي
المطلع	من بحر مجزوء الخفيف فاعلاتن متفع لن فاعلاتن متفع لن
الدور	فاعلاتن متفع لن فاعلاتن متفع لن فاعلاتن متفع لن
القفل	فاعلاتن متفع لن فاعلاتن متفع لن
البيت يتكون من الدور والقفل	فاعلاتن متفع لن فاعلاتن متفع لن فاعلاتن متفع لن فاعلاتن متفع لن
الخرجة	فاعلاتن متفع لن فاعلاتن متفع لن

موشحة "سلم الأمر للقضا" جاءت على وزن مجزوء الخفيف ، وهذا يظهر لنا من خلال تقطيعنا للمطلع:

سلم الأمر للقضا	فهو للنفس أنفع
سلم لأمر للقضا	فهو للنفس أنفعو
0 1 0 1 1	0 1 0 1 1
فاعلاتن	متفع لن

الفعىلة الأصلىة	الفعىلات اللى ءءثت	نوع العلة	الفعىلة المءءصل عىلها
مستفع لن	ءذف السىن" الساكن الثانى"	ءفن	مءفع لن

لقد لجأ الشاعر إلى الزءافاء والعلل لىكسر ما فىه من فروة التطرىب، وءءافع الغناء ، وبذلك اسءطاع أن يستولء من هءة البءور " الرمل " و " مءزوء الخفىف " إىقاعاً أهءأ وأكثر عمقاً ، ىءءانس مع هءة الرؤىا الشعرىة المءوءرة وىنبءق عنها. وبما أن رؤىا الموشءاء مءفعر بالآلم والءزن والآسى ، لءاكان على هءة الرؤىا أن مءءءج إىقاعها الخاص.

ءانىا: الموسىقى الءاخلىة

1/ التكرار:

إن بنىة الصوء أوى البنىاء التركىبىة فى الموشءة، باءءارها أصغر وءءة صوءىة مءكن عن طرىقها التفرىق بىن الكلماء وءمىز أشكالها . وهنا سمناول مءءلف الظواهر الصوءىة، من ءهر وهمس، وشءة، ورءاة، وإطباق وانءءاء ،واسءعاء واسءفال معءمءىن فى ذلك نظام الءءاول والإءصاء فى ءراسة مءءلف الظواهر .

الءهر و الهمس :

1 الءهر :

إن الصوء المءهور " هو الذى يهءز عند النطق به الوءران الصوءىان فى النوءء الءنءرى بءىء ىسمع مءشره الءبءبءاء الءنءرىة فى ءءاوىف الرأس"⁽¹⁾. الصوءى ، وإمعانا وءوضىءا لءصائص الءروف المءهورة ىرى " إىراهىم أنىس " الأصواء اللغوىة اللى مءصر بطرىقة ءبءبىة الوءرىن الصوءىىن فى الءنءرة مسمى أصواءا مءهورة ، فالصوء المءهور هو الذى يهءز معه الوءران الصوءىان "⁽²⁾. فمصدر الصوء المءهور ىشءرك فىه الصدر والقم وهى سعة عشرة صوءا ءمءعت فى قولهم " عضم وزن مارعظ ءء طلب ."

2 الهمس :

الصوء المهموس : " هو الصوء الذى لا يهءز عند النطق به الوءران الصوءىان فى النوءء الصوءى الءنءرى "⁽³⁾. أما سىبوىه فقد عرف الءرف المهموس بقوله : " الءرف أضعف موضعه ءقى ءرى النفس معه "⁽⁴⁾. ىءصف الصوء المهموس برهافة ،وهى صفة مءبعء على التأمل والءقصى العمىق بءواب اللغة ،وفى ءالة طغىان أصواء الهمس ىزءاء تأءىر الصوء على ءاسة السمع .

ومن ءلال عملىة فءص إءصائى لأصواء الءهر والهمس الوارءة فى الموشءة مءصلنا إلى ماىلى :

ءءء الءروف	المءهورة	النسبة المءوءىة	المهموسة	النسبة المءوءىة
------------	----------	-----------------	----------	-----------------

(1) صبرى مءولى، ءراساء فى علم الأصواء، ءار ءءافة للنشر وءوزىع، القاهرة، ص 59.

(2) إىراهىم أنىس، الأصواء اللغوىة، المكبىة الإنءلو مصرىة، القاهرة، ط1، 1981، ص 20.

(3) صبرى مءولى، ءراساء فى علم الأصواء، ص 59.

(4) سىبوىة، الكءاب، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بىروء، ط3، 1990، ء2، ص 489.

362	253	69.88	69	19.06
-----	-----	-------	----	-------

نلاحظ من خلال الجدول أن الأصوات المجهورة في الموشحة هي أكثر من المهموسة ، فكانت نسبة المجهورة هي 69.88% ، والمهموسة تقدر ب 19.06% .

وكما هو معروف فإن الصوت المجهور هو صوت يقرع الأذان لشدة ويوقظ الأعصاب، فكثرة الأصوات المجهورة جاءت وفق مقاصد الشاعر.

وقد توزع الصوت المهموس في الموشحة حيث أحدث نوعا من التوازن تقريبا في النسبة المئوية بين الجهر والهمس.

الشدة و الرخاوة :

معيار الشدة والرخاوة يرجع أساسا إلى درجة التحكم في تيار النفس المنطلق من الرئتين .

1 الشدة :

هو أن يجبس الهواء الخارج من الرئتين حبسا تاما في موضع من المواضع ،وينجم عن هذا الحبس أو الوقف أن يضغط الهواء ، ثم يطلق سراح الجري الهوائي فجأة فيندفع محدثا صوتا انفجاريا⁽¹⁾.

والأصوات الشديدة هي : ثمانية أحرف يجمعها هجاء قولك " أجد قط بكت"⁽²⁾ والشدة من علامات قوة الحرف .

2 الرخاوة :

"الصوت الرخو هو صوت يحدث معه اعتراض ناقص ، وهو عكس الصوت الشديد ، ومن الأصوات الرخوة : الهاء الحاء، الغين ، الخاء ، الشين، الصاد، والضاد، والزاي ، والسين ، والطاء والثاء ،والذال ،والفاء"⁽³⁾ . وهي ثلاثة عشر حرفا ، يجمعنا قولك: "تخذ ظغش زخف صه خس"⁽⁴⁾.

ومن خلال عملية فحص إحصائي لصوتي الشدة والرخاوة توصلنا إلى مايلي :

عدد الحروف	الشديدة	النسبة المئوية	الرخوة	النسبة المئوية
362	125	34.53%	80	22.09%

ما يمكن ملاحظته على الجدول هو أن الشاعر قد وظف الأصوات الرخوة بنسبة أقل من الأصوات الشديدة ،حيث أن نسبة الأصوات الرخوة 22.09% والشديدة 34.53% .

(1) كمال بشر على اللغة العام، دار المعارف، مصر، ط7، 1980 ، ص 100.

(2) أحمد بوزيد، التناسب البياني في القرآن، ص 290.

(3) المرجع نفسه، ص 291.

(4) حسام البهنساوي، دراسات صوتية عند علماء العرب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ص 44.

فالصوت الرخو يحدث معه إعراض ناقص، وهو صوت حزين. وكان تواتره بقلّة عكس الشديد، فالشاعر استعمل الأصوات الرخوة، وهي أصوات تحمل دلالات الألم العميق والحزن الشديد، و أن تواتره في القصيدة ينم عن حالة الشاعر وما يحس به، غير أن الأصوات الشديدة فجرت ذلك الحزن والألم بطغيانها على الأصوات الرخوة.

الإطباق والانفتاح:

1 الإطباق :

الصوت المطبق هو الذي ينطبق عند النطق به طرف اللسان ووسطه على من يحاذيه من سقف الحنك على تفاوت في درجة الانطباق فهو تام في /ط/ ومتوسط في /ص/ وناقص نسبيا في /ظ/ ⁽¹⁾.
والحروف المطبقة هي أربعة : الطاء والصاد والظاء والضاد وإنما سميت بهذا، لأن طائفة من اللسان تنطبق مع الريح إلى الحنك الأعلى عند النطق بها مع استعلائها ⁽²⁾.

2: الانفتاح:

الأصوات المنفتحة هي خمسة وعشرون، أي ما عدا الأصوات المطبقة المذكورة، وسميت بالمنفتحة، لأن اللسان لا ينطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بها ⁽³⁾.
والأصوات المنفتحة هي: الثاء، الحاء، الخاء، الذال، الزاي، السين، الشين، العين، الغين، الفاء، الهاء، الواو، الياء، الألف، اللام، النون، الميم، الراء، المهمزة، الدال، القاف، والباء والكاف والتاء والجيم.

ومن خلال عملية فحص إحصائي للأصوات المنفتحة والمطبقة يتضح لنا الآتي :

عدد الحروف	الأطباق	النسبة المئوية	المنفتحة	النسبة المئوية
362	14	% 3.86	336	% 93.37

تواترت الأصوات المنفتحة في الموشحة بشكل كبير، حيث بلغت نسبتها %93.37 والأصوات المطبقة بنسبة %3.86 .
وبالتالي فإن الأصوات المنفتحة قد شكلت وزنا كبيراً في الموشحة، وأنّ الأصوات المطبقة رغم قلتها إلا أنها أدت دوراً مهماً في إثراء الدلالة.

الاستفالة والاستعلاء

(1) صبري متولي، دراسات في علم الأصوات، ص 60.

(2) أحمد أبو زيد، التناسب البياني في القرآن، ص 291.

(3) المرجع نفسه، ص 291.

1 الاستفال :

الصوت المستفل لا يرتفع اللسان بجزئه الخلفي إلى ما يحاذيه من الطبق أو الحنك⁽¹⁾.
والأصوات المستقلة هي اثنا وعشرون صوتاً ، أي ما عدا المستعلية ، ووصفت بهذا الوصف لأن اللسان والصوت لا يستعلي عند النطق بها إلى الحنك بل يستفل اللسان إلى قاع الفم⁽²⁾.

2 الاستعلاء :

الأصوات المستعلية وهي سبعة منها المطبقة المذكورة قبل ، و " الحاء ، والغين ، والقاف " ، وإنما سميت بالمستعلية لأن الصوت يعلو عند النطق بها إلى الحنك فينطبق الصوت مستعليا⁽³⁾.

وهذا الجدول سيبين لنا نسبة استعمال الشاعر الأصوات المستعلية والأصوات المستقلة في الموشحة التالية:

عدد الحروف	الحروف المستعلية	النسبة المئوية	الحروف المستقلة	النسبة المئوية
362	32	% 8.83	330	% 91.16

مما يلاحظ من هذا الجدول أن توظيف الأصوات المستقلة كان بشكل كبير، فقد كانت نسبة الأصوات المستقلة تقدر بـ: 91.16% ، ونسبة الأصوات المستعلية تقدر بـ: 8.83 % .

إن الصوت المستفل الذي غلب على الموشحة يتلاءم مع المواضيع التي اختارها الشاعر من لوم وعتاب للمحبوبة، وهو صوت لا يرتفع فيه اللسان أثناء النطق به، وأما الصوت المستعلي فهو يرتفع فيه اللسان إلى الحنك الأعلى وهو ما يعطي الكلمات نوعاً من الفخامة ، لذا كانت نسبة تواتره قليلة.

(1) صوري متولي، دراسات في علم الأصوات، ص 64.

(2) أحمد أبو زيد، التناسب البياني في القرآن، ص 291.

(3) المرجع نفسه، ص 291.

- الخاتمة:

من دراستنا وتحليلنا للبنية الصوتية في هذه الموشحة خلصنا إلى أبرز النتائج وهي كالتالي :

للبنية الإيقاعية في الموشحة أهمية جلية في بلورة الأبعاد الدلالية فيها .

كما بلورت الدراسة أن الأصوات على اختلاف مواصفاتها في خطاب الموشحة استطاعت أن تكشف عن مجموعة دلالات وأنواع حالات ، منها أن صفة الشدة هي للقوة ، وأن صفة الهمس هي للحزن المنبعث من الألم العميق الذي يغلب عليه لباس الصمت الطويل ، ولا شك أن الشاعر كان مقهورا بحزن عميق ، وما يؤكد هذا هو غلبة نسبة الأصوات المستقلة على الأصوات المستعيلة من خلال الجزء الإحصائي لهما ، ولا نتوقع أن الشاعر نظم الموشحة وضبط ألوان أصواتها بشكل عفوي بعيد عن التأمل و التوافق ، كما يستنتج أيضا فكرة دلالة الحزن باستسلام الشاعر للقضاء و القدر.

مصادر و مراجع البحث:

- الأصوات اللغوية - إبراهيم أنيس - المكتبة الأنجلو المصرية - ط1 - القاهرة - 1981.
- التناسب البياني في القرآن - أحمد بوزيد - منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية - الرباط المغرب - 1992.
- الكتاب والقرآن قراءة معاصرة - مقدمة للدكتور جعفر دك الباب - مكتبة الأهالي دمشق سوريا -- ط1 - 1990
- دراسات صوتية عند علماء العرب - حسام البهنساوي - دار الثقافة للنشر والتوزيع .
- الكتاب - سيبويه - مؤسسة الأعلى للمطبوعات - ج 2 - ط3 - بيروت 1990.
- دراسات في علم الأصوات - صبري متولي - دار الثقافة للنشر والتوزيع - القاهرة .
- الأدب العربي في الأندلس - عبد العزيز عتيق - دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت 1976.
- الصور الشعرية عند الأعمى التطيلي - مكتبة الأدب مصر .
- علم اللغة العام - كمال بشر - دار المعارف - ط7 - مصر 1980.